International Baccalaureate®
Baccalauréat International
Bachillerato Internacional

Extended essay cover

Candidates must complete this page and then give this cover and their final version of the extended essay to their supervisor.

Candidate session number			
Candidate name			
School name			
Examination session (May or November)	May	Year	2015

Diploma Programme subject in which this extended essay is registered: Arabic B Category 3

(For an extended essay in the area of languages, state the language and whether it is group 1 or group 2.)

Title of the extended essay: تطور الشخصيات في روايات غسان كنفاني

Candidate's declaration

This declaration must be signed by the candidate; otherwise a mark of zero will be issued.

The extended essay I am submitting is my own work (apart from guidance allowed by the International Baccalaureate).

I have acknowledged each use of the words, graphics or ideas of another person, whether written, oral or visual.

I am aware that the word limit for all extended essays is 4000 words and that examiners are not required to read beyond this limit.

This is the final version of my extended essay.

Candidate's signature: Date: March 5th 2015

Supervisor's report and declaration

The supervisor must complete this report, sign the declaration and then give the final version of the extended essay, with this cover attached, to the Diploma Programme coordinator.

Name of supervisor (CAPITAL letters) [redacted]

Please comment, as appropriate, on the candidate's performance, the context in which the candidate undertook the research for the extended essay, any difficulties encountered and how these were overcome (see page 13 of the extended essay guide). The concluding interview (viva voce) may provide useful information. These comments can help the examiner award a level for criterion K (holistic judgment). Do not comment on any adverse personal circumstances that may have affected the candidate. If the amount of time spent with the candidate was zero, you must explain this, in particular how it was then possible to authenticate the essay as the candidate's own work. You may attach an additional sheet if there is insufficient space here.

جلست مع الطالب ما يقارب أربع ساعات للمساعدة
في اختيار موضوع البحث ووضع مخطط البحث . وقد كان طالباً
نشيطاً ومثابراً يعمل بجد ويتعمق في الفهم والتحليل
من المقابلة الشفوية مع الطالب . تأكدت أن هذا المقال
من جهد الطالب نفسه . وهو يستحق أن يكافأ على
هذا الجهد الكبير والمميز .

This declaration must be signed by the supervisor; otherwise a mark of zero will be issued.

I have read the final version of the extended essay that will be submitted to the examiner.

To the best of my knowledge, the extended essay is the authentic work of the candidate.

As per the section entitled "Responsibilities of the Supervisor" in the EE guide, the recommended number of hours spent with candidates is between 3 and 5 hours. Schools will be contacted when the number of hours is left blank, or where O hours are stated and there lacks an explanation. Schools will also be contacted in the event that number of hours spent is significantly excessive compared to the recommendation.

I spent 4 hours with the candidate discussing the progress of the extended essay.

Supervisor's signature: [redacted] Date: 5-3-2015

Assessment form (for examiner use only)

Candidate session number	

Criteria	Achievement level				
	Examiner 1	maximum	Examiner 2	maximum	Examiner 3
A research question	2	2		2	
B introduction	2	2		2	
C investigation	4	4		4	
D knowledge and understanding	4	4		4	
E reasoned argument	3	4		4	
F analysis and evaluation	4	4		4	
G use of subject language	4	4		4	
H conclusion	2	2		2	
I formal presentation	3	4		4	
J abstract	2	2		2	
K holistic judgment	4	4		4	
Total out of 36	34				

Name of examiner 1: (CAPITAL letters) Examiner number:

Name of examiner 2: _____ (CAPITAL letters) Examiner number: _____

Name of examiner 3: _____ (CAPITAL letters) Examiner number: _____

IB Assessment Centre use only: B: _____

IB Assessment Centre use only: A: _____

مدرسة الفرندز للبنين

رام الله - فلسطين

٢٠١٤ - ٢٠١٥

تطور الشخصيات في روايات غسان كنفاني

اعداد الطالب: طارق أبو يوسف

المعلم المشرف: عبد الحسيب خضير

عدد الكلمات: 3997

الخلاصة: عدد الكلمات: ٢٢٣

تحاول هذه المقالة الإحاطة بكيفية تصوير ما كونته الهجرة من صراعات داخلية وخارجية في الشخصيات الرئيسة في روايات غسان كنفاني، ونرى كيف تتطور الشخصيات من عذاب اللجوء وعواقبه. فالسؤال المحوري الذي تم مناقشته في هذه المقالة هو:

كيف يطور اللجوء الشخصيات الرئيسة في روايات غسان كنفاني؟

تمت الإجابة على هذا السؤال من خلال البحث عن الروايات المناسبة التي تحتوي على الهجرة والمخيم وشخصيات عانت أو تعاني من الهجرة والعيش في مخيم، تم العثور على ثلاث روايات تنطبق مع ما أبحث عنه. هذه القصص هي: (أم سعد) و(عائد إلى حيفا) و(ما تبقى لكم). لفهم هذه القصص بدقة قمت بقراءتها وتحليلها. كان هناك تتبع للشخصية الرئيسة لفهم تطورها والتركيز على المواقف التي أدت إلى هذا التطور. أيضاً تم الاستعانة بتحليلات أدبية لروايات غسان كنفاني كي يكون هناك استكشاف لأفكار مختلفة عن أفكاري.

من خلال التحليل هناك تطور ملحوظ في الشخصيات. فشخصية أم سعد تبدأ كإنسانة تخبئ أحاسيسها ومشاعرها، ولكن تتحول إلى إنسانة تعبر عن إرادتها للمقاومة من خلال ابنها سعد، حيث هي تكره المخيم وتريد التغيير. حامد شخصية يشبه أم سعد في (ما تبقى لكم)، فهو يتعب من الصمت على وضع حياته في المخيم، ويلجأ إلى ما وراء الصحراء من أمل وتحرر. أما في (عائد إلى حيفا) يبدأ سعيد س. بانتماء وطني ضعيف، وينتهي بشعلة مقاومة بداخله، وذلك بسبب ابنه دوف الذي أصبح صهيونياً. من ذلك يستنتج أن الهجرة تخلق الذل، ومن الذل تشتعل شرارة المقاومة والإرادة للتحرر.

<u>المحتويات:</u>

الموضوع	رقم الصفحة
الخلاصة	1
المحتويات	2
سؤال البحث	3
المقدمة	4
التعريف بالكاتب	5
رواية أم سعد	6
رواية عائد الى حيفا	10
رواية ما تبقى لكم	15
الخاتمة	20
المراجع	21

سؤال البحث:

كيف يطور اللجوء الشخصيات الرئيسة في روايات غسان كنفاني؟

المقدمة:

عشتُ جزءاً بسيطاً من تاريخ فلسطين المليء بالمعاناة والقهر والذل فقط. لم أر المعاناة التي عانى منها الفلسطينييون. لم أر الأراضي الفارغة تتحول الى خيم ظنها الفلسطينييون مؤقته، ولكن تحولت إلى بيوت من الإسمنت تمتلئ أزقتها بالحزن والحنين، التاريخ وحده لا يمكنه أن يشرح لي معنى معاناة هؤلاء الذين عانوا خلال حرب ١٩٤٨وهجروا من بيوتهم إلى المجهول، لهذا السبب قررت أن أفهم ذلك من خلال روايات من هُجر من بيته، وكافح من خلال كتاباته الملهمة، وهذا الشخص هو غسان كنفاني.

فبحثت عن معنى الوطن في ثلاث روايات من روايات كنفاني؛ كي أفهم ما فاتني قبل أن أولد. اخترت القصص التي تعبر عن اللجوء والعذاب، فهذه القصص كانت (أم سعد) و (عائد إلى حيفا) و (ما تبقى لكم). بالطبع لم يكن التركيز على القصة بشكل عام، بل كان التركيز على الشخصية، فالشخصية تكون الانسان الذي يفسر لي لمسة من ماضي النزوح والكفاح من أجل الوطن، وهو الإنسان الذي يمثل الوطن، فاللاجئ يجب عليه أن يرفض اللجوء، وينطلق ليواجه العدو، لأن العيش الذليل يجعل الشخص ميتاً من الداخل وهو حي، فكنفاني بحث عن الفدائي في رواياته وأنا عثرت عليه، فجعل كنفاني لهذا الفدائي أحلاماً وحرماناً، وبذلك جعل له سبباً للانطلاق باتجاه العدو، وبهذا كتب كنفاني عن إنسان حقيقي كأنه كان موجوداً، وبذلك حقق أمنيتي بالعثور على الوطن مع هؤلاء الشخصيات الذين يعثرون على حقيقة أنفسهم من خلال تجربة اللجوء والعيشة البعيدة عن غزة، وحيفا في المخيمات والحزن والذل. وبسبب ذلك كتبت البحث عن هذا الاكتشاف للشخصية الحقيقية التي تظهر بسبب اللجوء وما اصطحبه من مواقف أدت إلى هذه النتيجة.

التعريف بالكاتب:

ولد كنفاني في مدينة عكا عام ١٩٣٦ وكبر في حيفا، وفي ذكرى ميلاده الثاني عشر قامت مجزرة دير ياسين، وبسبب هذا الحدث لم يعد يحتفل بعيد ميلاده (دراج، د.ت).

في سنة ١٩٤٨ تم تهجير كنفاني وعائلته من بيتهم، فذهبت عائلة كنفاني الى لبنان مثل ٨٠٠,٠٠٠ فلسطيني طردوا من بيوتهم، ثم قررت عائلة كنفاني أن تذهب إلى سوريا وتعيش في مخيم الزبداني. هناك كبر كنفاني وعمل في مدارس وكالة غوث اللاجئين، حيث عاش معاناة الفلسطينيين.

أيضاً كانت الصحافة تذكره بالحزن والتحريض والأمل، كان كنفاني يبحث عن قصة تكتب قصة وطنه ومعاناة شعبه، كان يعلم أن ذلك لن يمحو شوقه وحنينه لوطنه، بل يصور الصورة الحقيقية للاجئ الفلسطيني في رواياته على مستوى معاناته الشخصية، ليؤكد على عدم رومانسية الأمر، لأن هذا ما كان ينظر به الفلسطيني إلى فلسطين الضائعة. وهذا كان الرد الطبيعي لهذه المصيبة من قبل الظروف في المخيمات في لبنان وسوريا والأردن. لكن كنفاني كان مهتماً ألا تكون كتابته حزينة، لأن هذا لا يجلب التغيير، بل يجلب المزيد من الحزن، وهذا ما جعل رواياته تنضبط بقوانين محددة، حيث يبدأ الفلسطيني شخصاً ضعيفاً وضائعاً، لكنه يكبر من ذلك ويتغير بشكل إيجابي للأفضل. فيصبح هناك واجب على اللاجئ الفلسطيني، حيث يخرج من حدود المخيم ليصل إلى معنى الفرق بين "اللواذ والمقاومة" (دراج، د.ت، ص.٦)، نرى ذلك التطور في شخصيات رواياته (ما تبقى لكم) و(عائد إلى حيفا) و(أم سعد)، حيث هؤلاء الشخصيات لا يريدون تحمل الذل بل يفضلون الشهادة في سبيل الوطن بشكلٍ أو بآخر (دراج، د.ت).

أم سعد:

أم سعد امرأة لاجئة تعيش في مخيم من فترة النكبة، هي أم لثلاثة أولاد، متزوجة، وهي غير متعلمة. كانت تزور ابن عمها ويوم من الأيام أعطته نبتة الدالية. يكون ابنها سعد في السجن. وهي تعيش في هذا المخيم من عشرين سنة، ولم يتغير شيء، وهذا المخيم يغرق في الوحل كل يوم، ويبدأ أفراد المخيم بتنظيفه. ونفسية الناس في هذا المخيم تعيسة وبائسة وهذا أثر عليها. وحينما خرج سعد من سجن الاحتلال الغاشم قرر أن ينضم إلى الفدائيين. وودعته بالزغاريت لباب المخيم، كانت سعيدة بذهاب ابنها معهم؛ لأنه لا أحد يدافع عن وطنها لسنين طويلة، وهي لا يمكنها الانتظار أكثر من ذلك. وهي لا تريد الموت قبل أن تتحرر فلسطين. إنها تتذكر وتشتاق إلى فلسطين كثيراً (كنفاني، ٢٠٠٦).

ابنها سعد يذهب وينسف سيارة يهودية، ثم بعد فترة يصاب برصاصة ويضطر للعودة الى المخيم ليشفى، بعد شفائه يعود إلى الفدائيين. تتكلم أم سعد عن حجابها القديم الذي لبسته منذ كان عمرها عشر سنوات ولم يجلب لها الحظ. فتقول هي مع هذا الحجاب "ظللنا فقراء، وتشردنا، وعشنا هنا عشرين سنة."(كنفاني،٢٠٠٦،٨٥) فقامت باستبداله برصاصة تركها سعد وراءه عندما ذهب مع الفدائيين. الآن نذهب إلى نهاية القصة حيث حدث حدثان رمزيان: الأول يروي لنا عرضاً عما "يتعين على المقاتل أن يفعل عندما يتعرض لطعنة حربة كي يتجنب الأذى"(كنفاني،٢٠٠٦،٨٨) في هذا العرض سعيد هو البطل ويقوم بتجنب "ضربة الحربة"(كنفاني،٢٠٠٦،٨٨) ويأخذ البندقية من عدويه (هذه هي شخصيات زميله في العرض)، ويرفع البندقية تحت العلم الفلسطيني، بسب ذلك يبدأ الجميع بالتصفيق "كالرعد"(كنفاني، ٢٠٠٦،٨٩)، وتنتهي القصة ببرعمة الدالية التي ظن ابن العم أنها لن تعيش لأنها كانت مجرد عود، وتسعد أم سعد كثيراً بنمو هذه النبتة (كنفاني، ٢٠٠٦).

شخصية أم سعد في هذه الرواية تصور مرحلة مهمة في حياة الشعب الفلسطيني اللاجئ. أيضاً أم سعد نموذجاً عن الأمهات الفلسطينيات اللواتي يشهدن على قسوة ومرارة العيشة خارج بيتهن ووطنهن. تصور هذه الشخصية بشكل واقعي جداً، لأن أم سعد شخصية ضائعة بين الحيرة والهزيمة واليأس، وتريد أن تعيش في واقع أفضل بالرغم من أنها لم تحقق ما أرادته، ولكن نحن لا نبحث عما هو مثالي، نحن نبحث عما طور الشخصيه وجعلها تنمو. هناك مواقف أثبتت لنا كم كانت أم سعد واعية بواقعها، وكم تدفع نفسها لتغيير هذا الواقع عكس الناس الذين يتواجدون حولها في المخيم (المسعودي، ٢٠٠٦).

من المواقف التي ترينا أثر اللجوء في شخصية أم سعد هو قوتها. ظهرت أم سعد قوية بسب عملها. فبسبب كونها أمية لم تكن الخيارات كثيرة في العمل، كما أن عيشها في المخيم أثر على ذلك. فأدى ذلك إلى عملها في تنظيف بيوت الناس، والمساعدة في تنظيف عمليات أذى الاحتلال، ومحاولة إرهابه وتعطيل المخيم. وما يدل على قوتها هو خشونة يديها وقدميها بسبب الأعمال المرهقة، أيضاً الجروح التي توجد على قدميها. فلها رائحة وهي رائحة "المقاومة الباسلة حيث تكون جزءاً من جسم الإنسان ودمائه."(كنفاني، ٢٠٠٦، ٥٩) وهذا يدل على شدة صمودها (كنفاني، ٢٠٠٦).

هذا الصمود أدى إلى مللها ولذلك كانت تشعر بشدة الفرح عندما انضم سعد الى الفدائيين، حيث قامت بتوديعه بالزغاريت على باب المخيم، لأن اللجوء وحياتها في المخيم البائس أدى إلى فخرها بابنها لأنه يستعد للنضال، لأن لا أحد يفكر في الذهاب والدفاع عن وطنه الذي يذهب سدى، وهي تتمنى أن تذهب مع الفدائيين ولكن لا يمكنها بسبب أولادها الإثنان. فتقول "خيمة عن خيمة تفرق! لعشت معهم، وطبخت لهم طعامهم. خدمتهم بعيني"(كنفاني،٢٠٠٦، ٣٣) ونرى من ذلك كم ملت أم سعد من عدم فعل أي

شيء مفيد لوطنها، وتريد أن تكون في خيمة لها معنى الشرف والكرامة وليس التعاسة والاستسلام. ولكن تعلم هي بأن بعث ابنها مع الفدائيين يعبر عنها وعن شعورها، كما نرى مللها من الوضع في المخيم من خلال حديثها مع ابن العم عندما يكون سعد في السجن، فتقول:" المخيم حبس، وبيتك حبس، والجريدة حبس، والراديو حبس،..... والعشرون سنة الماضية حبس"(كنفاني، ٢٠٠٦، ٢٥) وهذا يدل على كم يضغطها هذا المخيم وهذه الحياة من غير سبب، وتقول أم سعد عن ابنها أنه الوحيد الحر (حتى لو أنه محبوس) لأنه خرج من هذا المخيم. نرى أيضاً مللها من دقتها بالوقت. حيث تعلم أن غياب ابنها كان "تسعة شهور وأسبوعين"(كنفاني، ٢٠٠٦، ٤٥). فهي تنتظر الحرية من هذا المخيم (كنفاني، ٢٠٠٦).

نرى حبها الحقيقي للفداء الحقيقي من عدة مواقف. الموقف الأول هو حجابها، فهي تقوم بالتخلص من الحجاب القديم لأنه لم يعطها شيئاً غير الفقر والتعاسة، ولأنه يذكرها باللجوء والمخيم، وتستبدله برصاصة سعد وهي رصاصة الفداء. وهي التي سوف تخرجها من حياتها المحطمة، أيضاً عرض ابنها سعيد التي تحدثنا عنه سابقاً جعل الدموع تملأ عينيها. وذلك شيء عظيم جداً لأن اللجوء وحياة المخيم جعلا أم سعد قوية، وكان كل جسدها يبكي بدماء الجروح، ولكن عينيها لا تبكي. المخيم شدها للفداء والفداء شدها للحياة فتصبح تربي فدائيين وليس أطفالا. أضف إلى ذلك أنها تأخذ الفداء كهدية، فعندما ينسف ابنها سيارة يهودي تعتبرها هدية ثمينة تجلب لها الحياة (كنفاني، ٢٠٠٦).

الحياة والموت يظهران في هذه القصة، حيث الدالية ترمز إلى الحياة وإمكانية العودة الانتصارية، وكلمة "برعمت"(كنفاني، ٢٠٠٦، ٩٣) ترينا أن هناك إمكانية لاستمرار الانتصار والعطاء، والنمو

كفلسطينيين فدائيين، وهذا سبب فرحة أم سعد في نهاية الرواية. والموت أيضاً كان يحيي الناس في المخيم، حيث تشعر هي في التحرر من البؤس، كان كنفاني أول من يصور الرفض في المخيم، حيث تتحول معاناة اللاجئين وهزيمتهم إلى حيوية ترفض أي هزيمة، وهي شخصية أم سعد التي تجعل المخيم مركزاً للأمل ورمزاً للوطن، وهذا يجعله عنصراً مهماً في قدرته على تغيير أفعال الفلسطينيين، ودفعهم لفعل شيء، وأيضاً من يسكنه لديه القدرة لتغييره. فأم سعد "تصبح قادرة على رؤية الفرق بين خيمة اللاجيء وخيمة الفدائي"(دراج، د.ت، ص.١٢) وتتعلم ما معنى إعطاء حياتها لوطنها بلا حساب (كنفاني، ٢٠٠٦).

عائد إلى حيفا:

تبدأ قصة عائد إلى حيفا بشخصية سعيد س. عائد إلى حيفا مع زوجته صفية، بعدما سمح لهما الاحتلال بالعودة إلى فلسطين بعد عشرين عاماً. كانا طول الطريق يتحدثان عن الكثير من الأمور، ولكن لم يفكرا فيما ينتظرهماعند وصولهما هدفهما وهو حيفا، فوصل سعيد س وصفية حيفا في ظهر يوم الثلاثين من حزيران ١٩٦٧، لا يصدقان أنهما عادا إلى الأرض المسلوبة. وقامت صفية بالصراخ على زوجها لأنه يتفلسف عن عدم فتح حيفا، وأدى هذا إلى قوله إن حيفا لم يتم فتحها بسبب سواد عينيها وعينيه، بل لأن اليهود يريدون ان يعرضوا كم هم أحسن من الفلسطينيين وأرقى منهم، ولكن يرى سعيد س أن لا شيء تغير وبدأت الذكريات تتدفق في رأسه، وعاد بعدها إلى وقت النكبة، حيث بدأت الحرب على حيفا، وكان هو خارج البيت، ولكن لم يتمكن من العودة الى البيت بسبب القذائف والرصاص من كل جهة، في أحداث الحرب تخرج صفية من البيت لأنها كانت خائفة. بسبب ذلك نسيت ابنها خلدون ولم تلاحظ ذلك. ثم وجدت زوجها ودفعتهم الحشود إلى القوارب ولم يكن بالإمكان لهما أن يعودا لإحضار خلدون (كنفاني،٢٠١١).

عندما يصلا بيتهما، يلاحظان ما تغير، ولكن يحاولان أن يتجنبا ذلك وتبدأ صفية بالبكاء. فيطرقا على الباب وتخرج عجوز اسمها مريم، وتدعهما يدخلان وهي زوجة أفرات كوشن. تبدأ مريم القادمة من بولينيا بالتحدث عن دوف، ويتبين لنا أن دوف هو خلدون. فهي امرأة تسمى تورا التي وجدته في البيت بسبب بكائه الشديد، أخذته إلى مكتب الوكالة اليهودية، حيث تبناه أفرات كوشن مع بيت سعيد س في الحليصة (كنفاني،٢٠١١).

تقترح مريام أن ينتظرا خلدون/دوف ليأتي، وهو يقرر مع من يريد الذهاب صفية تقول إن ذلك عدل، ولكن زوجها يقول كيف تقول إن ذلك "خيار عادل"(كنفاني، ٢٠١١،٤٨) إن خلدون سرقته هذه العائلة، ولن يعود، فهو أصبح دوف. ودوف ينكرهما ولكن يعودا إلى رام الله مصرين على العودة إلى حيفا، ولكن وهي حرة مفتوحة من بوابة مندلبوم (كنفاني،٢٠١١).

في (أم سعد) لم نعلم الكثير عن معاناتها في اللجوء، ولم نسمع الكثير عن الاحتلال. حيث هي خارج فلسطين لكن في (عائد إلى حيفا) الاحتلال يلعب دوراً كبيراً في جعل الرواية تروي لنا صعوبة اللجوء، وصورها لنا بشكل أفضل وواضح، وبكل الأحداث الصغيرة التي حدثت في ١٩٤٨ تؤدي إلى مشاعر وأفكار غيرت الشخصيتين الرئيسيتين (سعيد س) و (صفية). فليس من الضرورة أن يكون لدينا فقط الأحداث الكبيرة التي لا تفسر شيئاً، حيث لو فقط قال كنفاني إنها كانت حرب ١٩٤٨ لما كنا أحسسنا مع الزوجين (المسعودي،٢٠٠٦).

في هذه الرواية يرفض كنفاني فكرة اللجوء وترك الأرض، حيث قام بزرع هذه الأفكار في (سعيد س) بقوله "كان علينا ألا نترك شيئا، خلدون والمنزل وحيفا."(كنفاني، ٢٠١١، ٦) هذا يرينا كم يشعر بالذنب لترك ارضه تذهب سدى بهذه الطريقة، فيجب عليه أن يصمد، وهذه الفكرة تستمر خلال الرواية، ولكن تبدأ من ناحية حنان ورومانسية باتجاه حيفا، ثم تتحول إلى نضال وإرادة لثورة (المسعودي،٢٠٠٦).

في (عائد الى حيفا) نرى تطور شخصية سعيد س. من خلال استجابته وحواره مع صفية، مريم، ودوف في فكره ومبادئه، ولكن لا نعلم الكثير عن شخصيته في العشرين عاماً التي أمضاها في اللجوء فهي شخصية غير مكتملة، ولكن نأخذ فكرة عنها، ونحاول فهم معاناتها من خلال سرد وأحداث الرواية، فتعتبر هذه الشخصية نامية. أما صفية فهي شخصية لا تتطور، وتلازم الثبات على كونها في بداية الرواية بل هي منسجمة مع طبيعتها. نرى ذلك من خلال المواقف التابعة (المسعودي،٢٠٠٦).

نرى تأثير الذكريات على سعيد س. وصفية من مواقف مختلفة ترمز الى صعوبة اللجوء، وكيف هذا رسم الشخصيات. أول دفعة من الذكريات تدفقت بداخلهما عندما وصلا إلى حيفا و"انهار الجدار كله، وضاعت الطريق وراء الستار من الدموع" عندما قال سعيد لزوجته "هذه هي حيفا يا صفية."(كنفاني، ٢٠١١، ٧) هذا الحدث يوفر البداية للعلاقة الرومانسية في اتجاه حيفا الذي سببته الهجرة المدمرة. نرى استمرار العيش في الذكريات من خلال تفكير سعيد بأنه لا شيء تغير من عشرين عاماً، فتبدو على حالها، وأخذ يتنكر أسماء المناطق فأخذت "تنهال في رأسه وادي النسناس، شارع الملك فيصل، ساحة الحناطير، الحليصة، الهادار..." (كنفاني،٢٠١١، ١٠)، ومن ذلك تنطلق القصة إلى ما جعل الشخصيات حساسة، فما أعادنا الى حرب ١٩٤٨ هو سماع صوت الانفجار من بعيد، مما أدى إلى ارتجاج المقود بين يدي سعيد، وذلك أدى الى قصة الحرب التي جعلته لاجئاً وجعلته يخسر ابنه. ثم ننتقل الى موقف آخر يجعل الذكريات تتركز وتصبح أكثر تفسيرا، وهذا يظهر عندما يصلا إلى بيتهما القديم في الحليصة. فعندما أطل البيت بدأت صفية بالبكاء، وصعدا إلى البيت، ولم ينظرا حولهما لأنهما لو نظرا إلى الأشياء الصغيرة التي تغيرت " كان يعرف أنها ستخضعه وتفقده اتزانه." (كنفاني،٢٠١١، ٢٧) بالرغم من ذلك قام بملاحظة تغيير الجرس والاسم. عندما دخلا بيتهما لم يتحمل سعيد س. رؤية أشيائه لأنه كان بظنهم "ملكية غامضة مقدسة لم يستطع

أي كائن ان يتعرف عليها"(كنفاني،٢٠١١، ٣٠) والآن لم تكن هذه الأشياء له فاللجوء أفقده ما أحبه، وقد لاحظ ما خسره وما هو نقص من البيت الذي كان مُلكاً له قبل اندلاع حرب ١٩٤٨، فالهجرة جعلته ضعيفا وحنوناً. فنحن نعلم أن هذا الحنين موجود من عشرين سنة، وهم على متن زورق من جملة "كانت حيفا نعيم وراء غبش المساء وغبش الدموع." (كنفاني،٢٠١١، ٢٠)

قبل كل هذه الذكريات نرى أن هناك تقبل بأن حيفا ليست حرة ولقد ضاعت. نرى هذه الفكرة من خلال قول سعيد س. "انتي لا تري[حيفا]، إنهم يرونها لك." (كنفاني،٢٠١١، ٨) شيء آخر يؤكد على هذه الفكرة هو فتح حيفا، اول جزء من ذلك هو ان الاحتلال لم يفتح حيفا من باب مندلبوم الذي أغلق على حيفا منذ بزوغ الحرب، بل فتحها الإحتلال من ناحية اخرى وبوجهة نظر سعيد س. هي لا تزال مغلقة، لذلك هي ليست حرة. الجزء الثاني هو عندما قال سعيد لصفية "إنهم يقولون لنا تفضلوا انظروا كيف أننا أحسن منكم وأكثر رقياً" (كنفاني،٢٠١١، ٩) فكان يعرف سعيد أن فتح بوابة حيفا للفلسطينيين كان مجرد إضافة إلى عذاب اللجوء بإهانة شديدة لعرض دولة إسرائيل المتحضرة، وعرض الشعب المثالي الذي يستحق أرض فلسطين.كان يعرف من قبل أن العودة سوف تكون ذلاً، فقال: "إن كان ذلاً واحداً لأهل حيفا فبالنسبة لي ولك هو ذلان"،(كنفاني،٢٠١١، ٣) حيث عدم القدرة على العودة حقيقةً هو الذل الأول، فسوف يستمرون في تذوق ذل اللجوء طوال عمرهم، والذل الثاني هو نسيان خلدون، فكانت غلطة فاضحة (كنفاني،٢٠١١).

هناك عامل مهم يلعب دوراً في إيقاظ الشخصيات من ماضيها و هو النكران. نرى ذلك في موقف قبل وصول دوڤ البيت، حيث يقول إنه يشعر بأن كل شيء ينكره: حيفا، وبيته، وسوف يكون خلدون كذلك أيضاً. كان سعيد على حق فلقد أنكرهم دوڤ، ومن تلك اللحظة فصل سعيد بينه وبين دوڤ، حيث أصبح دوڤ هو العدو، ومن ذلك الموقف نرى الفداء والمقاومة يظهران، فيقول لدوف "ستكون معركتك الأولى مع فدائي اسمه خالد"(كنفاني،٢٠١١، ٦٨)، ونرى تركه للماضي من خلال قوله "كنا نتوقع العثور عليك، ولو بعد عشرين سنة، ولكن ذلك لن يحدث. لم نعثر عليك..... ولا أعتقد أننا سنعثر عليك." (كنفاني،٢٠١١، ٦٨) ونرى تركهم للماضي عندما خرجوا من البيت من غير النظر إلى شيء، وكانت صفية خلف سعيد توافقه الرأي ومقتنعة بما قاله: "ألم أقل لك منذ البدء إنه يتوجب علينا أن نأتي..... وأن ذلك يحتاج حرب؟"(كنفاني،٢٠١١، ٧٧) وهذا يرينا ترك فكرة الماضي وترك فكرة اللجوء، فالتركيز يجب ان يكون على المستقبل والمقاومة كما هو تفكير خالد. الآن الحل الوحيد هو استرجاع حيفا بالفداء، فيرجو سعيد "أن يكون خالد قد ذهب إلتحاقاً بالفدائيين" (كنفاني،٢٠١١، ٧٩). فاللجوء جعله ضعيفاً، وخالد كإنسان قضية يجب عليه إرجاع القوة إلى أبيه (كنفاني،٢٠١١).

ما تبقى لكم:

لا نفهم الكثير عن المخيم في هذه القصة، ولكن نحس باليأس والحزن الذي يعيش به حامد (الشخصية الرئيسية) ونرى كم يشعر بالإحراج بسبب أخته مريم الحامل بطفل من رجل اسمه زكريا. يقول حامد إن زكريا نتن وإنه فعلاً كذلك، حيث خان زوجته التي يوجد عندها خمسة أطفال. ثم يظهر لنا شرح مفصل للمخيم في أواخر صفحات القصة، حينما يذهب زكريا إلى المطبخ وينظر إلى خارج النافذة:" وقف وأخذ يحدق من النافذة إلى الطريق، ثم إلى السماء السوداء الجاثمة فوق سطوح البيوت الواطئة، وأكواخ التنك وغرف الطين في الجهة المقابلة."(كنفاني،٢٠٠٦، ٦٦) عند ذلك يمكن لنا أن نتخيل سبب الحزن والتعاسة في روح مريم وفي روح حامد، فكل معالم الجمال في الدنيا لا تظهر في هذا المخيم المليء باللون البني (يظهر ذلك في مباني الطين)، أيضاً السماء ترينا كم الحياة بائسة. فكان يكفي لو قال كنفاني عن السماء سوداء ولكن أضاف كلمة "الجاثمة " ليرينا أن مع ظلام السماء هناك ظلام الحياة الحابسة والخانقة. من ذلك نفهم سبب اندفاع حامد نحو الصحراء لإيجاد حياة أفضل، حينما يلتقي حامد بالعدو الصهيوني، يرى أنه من يافا التي تم تهجيره منها، وهذا الاكتشاف يخلق الفضول ويترك المجال لتدفق الذكريات عند حامد، فسأل العدو: "كيف انتهى الأمر بكل الحي، الذي يمتد بين جامع الشيخ حسين وحمام اليهود المحروق في المنشية."(كنفاني،٢٠٠٦، ٧٣) تكون هذا السؤال بسبب تذكر حامد لبيته وتذكر حياته السعيدة التي سلبت منه واحترقت أمامه مع احتراق يافا في ١٩٤٨ بسبب التفجيرات من قبل القوات الصهيونية. تشرح لنا مريم هذه الحرب وهي تمارس الجنس مع زكريا بعد زواجهما. تتحدث عن كيف صعدت هي وأخوها على متن زورق وبقيت أمهما عل الشاطئ وأبوهما مات شهيداً قبل لجوئهم إلى المجهول (كنفاني ،٢٠٠٦).

من تلك الحرب ومن الاختيار لذلك الزورق تغيرت حياة مريم وحامد إلى الأبد. هذا ما أدى بهما إلى حياة مليئة بالمتاعب. عاشا مع خالتهما ثم ماتت وأمهما لم تأت أبدا، فتم أخذهما إلى الأردن. حياتهما البائسة دفعت حامد إلى أمه وقتل جندي على الطريق، ودفعت مريم إلى قتل زكريا الذي كان يحبسها معنوياً (كنفاني، ٢٠٠٦).

يترك كنفاني حرية التفتح لشخصياته، حيث تدخل في تفكيرهم، ونرى تطورهم الملحوظ على العكس من رواياته الأخرى (السعودي،٢٠٠٦).

نرى المخيم كمكان من غير أمل، وهو مكان يخنق من يعيش به بسبب العادات الحابسة للنفس في هذه البيئة المزرية. قبول البقاء في هذا المخيم يظهر القبول للعيش الذليل، فالعدو يقتل من هو مناضل رافض لهذه العيشة، وليس هذه الحياة التي تركته بذل وحزن، فقال عن نظرته الأخيرة على المخيم وهو يدخل الصحراء: " هي نظرة وداع غير آسفة نحو ماضٍ يتوارى ويغيب ." (كنفاني،٢٠٠٦،٦١) هنا تواجدت أول خطوة كانت تخلي حامد عن ماضيه، فوضع وراءه الذل الذي سببته له أخته، فكان خوفه مما سيقول الناس عنه وعن أخته، حيث لم يتمكن من تربيتها، وما دفعه إلى أمه والصحراء هو سالم الذى قال له قبل موته "أغلب الظن أنك أمضيت عمرك تعلك أسنانك وتقول لو." (كنفاني،٢٠٠٦،٦١) فحان الوقت لحامد أن يقوم بفعل وليس فقط بقول، فكان معروف عنه انه يتكلم فقط ونعلم ذلك من زكريا: "يقول أشياء كثيرة اتركيه." (كنفاني،٢٠٠٦،١٦) أيضاً ما دفعه الى الصحراء هو كلام اخته بأن الجيش الإسرائيلي لن يقتلوه لأنهم "قتلوا سالماً لأنه... أنت تعرف سالماً على أي حال.. فلماذا يقتلونك أنت؟" (كنفاني،٢٠٠٦،٤٩) مما جعله يشعر بذل شديد وأشعرته بأنه تافه وضعيف ولا يمكن أن يقاوم الاحتلال (السعودي،٢٠٠٦).

أم حامد والصحراء يفتحان الطريق لتحرر حامد، فالصحراء في هذه الرواية تختلف عن باقي روايات كنفاني، حيث تكون سلبية في معظم الأحيان، ولكن في هذه الرواية الصحراء تمثل طريق لحياة جديدة وحياة أفضل، فهي تضع حامد أمام مسؤوليته كمواطن فلسطيني، وتدفعه إلى الخروج من حياته البائسة إلى الدفاع عن أرضه، ونسيان مسؤوليته التي ضاعت (أخته). والصحراء أيضاً وفرت طريق الاشتباك، حيث طعن حامد عدوه، وذلك أدى إلى إحياء الثورة في داخله. الصحراء سوف تجعله يصل الى أمه فهو ليس لديه خيار اخر فلم يتبق لديه غيرها، أيضاً ما دفعه لها هو اكتفاؤه من قول جملة "لو كانت أمك هنا" (كنفاني،٢٠٠٦،١٠)لأخته، اكتفى من هذه الحياة المجهولة التي تستقر في الأردن، فقرر الذهاب الى هناك لرؤية ما هي الحياة التي تنتظره وراء تلك الرمال الحارقة في الصحراء، فحمل أمه الغائبة عبر النهر كل متاعبه، فعندما استقرت أمه في الأردن "لقد حملت [أم حامد] السر معها و[هو ومريم]" (كنفاني، ٢٠٠٦،٦١) والسر هو سر الحياة، وما تبقى لهم هو "حساب البقايا" (كنفاني،٢٠٠٦،٦١) وهو أن يعيشا بتعاسة شديدة، فالوطن لم يبقَ منه شيء غير الندم والأمل بالتحرير من غير الحركة و المقاومة، ولكن حامد يختار أن يقاوم ليعلم سر الحياة الذي أخذته أمه معه، لأنه يريد أن يبقى له ما تبقى لها. وهي الحياة بعيداً عن الوطن والتقاليد الكاتمة للانفاس، المهم ان تكون حياة سعيدة. نرى أسرار حامد من خلال انسجامه مع الصحراء، يراها كجسر وليس عقابا (عبد الهادي،١٩٨٧).

أما مريم فتفكيرها مقيد بالمخيم، كأنها تعلم أنها سوف تبقى هناك. فاللجوء وجهها إلى غزة وغزة هي أين ستبقى. رأيها أن أخاها كان دائماً رجلا رائعاً. ولكن لا يمكن أن تتزوجه، و"كان يتحول كل يوم بالنسبة [لمريم] إلى رجل محرم" (كنفاني،٢٠٠٦،٣٥)، فكانت تنتظر من يمكن لها الزواج منه، وأول من ظهر هو زكريا. بسبب ضياع يافا ضاع فتحي الذي كان بإمكانها الزواج منه وتعيش معه حياة سعيدة.

فضاعت حياتها بسبب الاحتلال وبسبب عيشة المخيم. لم تعد "الطموحة المتعلمة، ذات الأصل والفصل" (كنفاني،٢٠٠٦،٤٣) فتركت كل ذلك وسمحت بالعيش البائس مع زكريا، لأنه في عينها هو ما تبقى لها، وهو حتى يبدو بعيداً رغم أنه في فراش مريم. هذا يرينا كم هي حزينة بما تبقى لها، فحتى زكريا لا يفهمها ولا يفهم حزنها (كنفاني،٢٠٠٦).

الطفل في أحشاء مريم يلعب دوراً كبيراً في تحرير مريم من العبودية التي تعيشها مع زكريا. وصفت جنينها بأنه "صامتاً، بعيداً، وربما غاضباً"(كنفاني،٢٠٠٦،٥١) وهذه ترمز إلى حامد فتسميته بهذا الاسم دلالة على الصمود والمقاومة. فكانت تشعر ب"تلك الحركة الصغيرة الغامضة"(كنفاني،٢٠٠٦،٦٢) في داخلها، وأخذت مريم تبكي لأنها تريد جنينها أن يعيش لأنه يمثل الحياة وعدم الخضوع الى العيشة البائسة في المخيم. فترى حامداً بالطفل لانه قال لها "لا تخسري الطفل. إن الطريقة الوحيدة الباقية كي لا تخسريه هو التخلص منه."(كنفاني،٢٠٠٦،٦٤) وعندما يقول حامد "منه" يعني بها زكريا. فأشعل ذلك الطفل في أحشائها "تلك الانتفاضة الصغيرة المزدوجة"(كنفاني،٢٠٠٦،٧٦) التي توجد في الطفل وفي مريم. وتعلم مريم أن حامد سوف يبقى عالقاً في الصحراء، وسيظل في المخيم "كلما كان زكريا هنا"(كنفاني،٢٠٠٦،٦٦). والانتفاضة تشتعل لكي لا يبقى حامد هنا، وإذا حامد قادر على التحرر من المخيم بإنهاء علاقته البائسة مع زكريا التي تتذكرها مريم الذي يمكن لها هي أن تتحرر بحامد ابنها، وتتحرر كإنسان عاش في ذل بسبب اللجوء من أرض أحلامه يافا. فتظهر ثورة مريم بأنها تقهر عدوها الداخلي الذي يتقبل هذه الحياة بتمسكها بمعنى شخصية حامد بجنينها، وتقوم بقتل زكريا ليكتمل معنى حامد الموجود في رأسها وكي تتحرر من خلاله (كنفاني،٢٠٠٦).

تلعب الساعة وصوت الدق دوراً كبيراً في هذه الرواية في تطوير شخصيات مريم وحامد. هذه الدقات بدأت ليس من ساعة بل من حرب ١٩٤٨ بالزورق "بالمجاديف تدق سطح الموج" (كنفاني، ٢٠٠٦،٣٤) هذا يرينا كم كانت لحظة الهجرة مؤلمة، وما كان يسمع هو صراخ الناس، وعندما ابتعدوا دقات المجاذيف هي ما بقيت. ثم تتحول هذه الدقات إلى ساعة توضع على حائط غرفة مريم وحامد التي تصبح غرفة مريم وزكريا. نرى هذه الساعة تؤثر كثيراً على مريم فهي تبقى معها طوال القصة بدقاتها الأبدية. نرى كم مريم وحيدة، فهي تحصي "تلك الخطوات المعدنية الباردة تدق في الجدار"(كنفاني، ٢٠٠٦،٢٠) كان حامد يحصي معها هذه الدقات، والآن لقد ذهب وتبقى لها زكريا الذي لا يفهمها. فهي تسمع هذه الدقات باستمرار لأنها تريد حامد باستمرار، وهذا ما تبقى لها منه، فقط هذه الساعة التي تشبه "نعشاً صغيراً" (كنفاني،٢٠٠٦،٢٠)، فهي تنتظر الموت ولكنه بعيد، وطفلها يدق في داخلها وكل شيء يدق كذاكرة لا تمحى من الماضي، وهي عالقة على رصيف المحطة المدمر الذي غادره آخر قطار، وما تبقى لها هو "صوت الصمت المفعم بالغربة والوحشة والمجهول يدق يدق يدق" (كنفاني،٢٠٠٦،٧١) وهذا يجعلها تعيش في الماضي غير قادرة على القرار. فمن سماع هذا الدق من حولها، قررت أن تتحرر من الماضي ومن قيودها التي تثبتها في داخل المخيم، والطريقة الوحيدة لكسر قيودها هي قتل زكريا، فقتلته، وهي الساعة التي سببت ذلك ب"إصرارها القاسي الذي لا يهرم" (كنفاني،٢٠٠٦،٧٧). نرى هذا التحرر بحامد بشكل واضح أكثر: كان سريره تحت هذه الساعة، وكان "يستمع أغلب الظن إلى دقاتها المعدنية تخطو فوق الجدار حول نفسها دون لحظة توقف واحدة."(كنفاني،٢٠٠٦،٢٤) يوضح ذلك استقراره في الماضي، ولكن يتحرر من الماضي، فيقوم بإلقاء ساعته في الصحراء، حيث ليس لديها أي أهمية، فقد كانت تذكره فقط "باللذة الأليمة" (كنفاني،٢٠٠٦،٣٩) وتبني حاجزا بينه وبين المستقبل، وهو الوصول إلى أمه التي تمثل بناء حياة جديدة بعيدا عن المخيم، وبعيدا عن عذاب اللجوء والغربة والعادات التافهة (كنفاني،٢٠٠٦).

الخاتمة:

قد توصلت في هذا البحث إلى مجموعة من الحقائق: الأولى هي أن الانسان يمكن له أن يختار بين العبودية والتحرر، فإذا اختار العبودية فهو استسلم للقيود التي وضعها الاحتلال، ولكن إذا اختار التحرر وكسر هذه القيود الحابسة، فيمكن له ذلك، وبذلك يختار المقاومة والصمود.

ثاني حقيقة استنتجتها هي أن الفلسطيني الذي يقبل فكرة بقائه لاجئاً لا يستحق الوطن. لأن يختار ذلك هو ضعيف يقبل استيلاء المحتل على وطنه وهو ينظر لهم صامتاً، والصمت يظهر القبول.

ولكن هذا ليس السناريو بروايات كنفاني عن اللجوء، فثالث حقيقة نستنتجها هي أن كل شخصيات روايات اللجوء ترتد لواقع اللجوء، ففي (عائد إلى حيفا) يناقش معنى الوطن والعودة إليه بالفداء، وفي (أم سعد)هناك إصرار على الكرامة أيضاً من خلال الفداء. أما في (ما تبقى لكم) يظهر الرفض للعيشة الذليلة في داخل مخيم كاتم للأنفاس. فنرى مدى المقاومة وإنهاء الصمت الذي دام طويلاً، أيضاً نرى فرض التغيير للأفضل. وهذا جميعه يحطم القيود التي طالت وتركت علامات على أيدي كل من أم سعد و سعيد س. وحامد ومريم. فالفعل مهم ونعلم ذلك من قول كنفاني على لسان سعيد س. :

"تعرفين ما هو الوطن يا صفية ؟ الوطن هو ألا يحدث [الاحتلال] كله."(كنفاني، ٢٠١١، ٧٦) (دراج،د.ت)

وبهذا آمل أن أكون قد وفقت في الإجابة على سؤالي وهو: **كيف يطور اللجوء الشخصيات الرئيسة في روايات غسان كنفاني؟**

قائمة المصادر والمراجع:

الكتب:

- دراج، فيصل(د.ت).غسان كنفاني رمز الثقافة الوطنية (١٩٣٦-١٩٧٢). فلسطين: المركز الفلسطيني للبحوث والدراسات الاستراتيجية.
- عبد الهادي، فيحاء (١٩٨٧). وعد الغد دراسة في أدب غسان كنفاني.(الطبعة الأولى). عمان: دار الكرمل للنشر.
- كنفاني، غسان (٢٠٠٦). أم سعد. (الطبعة الخامسة). بيروت: مؤسسة الأبحاث العربية.
- كنفاني، غسان (٢٠١١).عائد الى حيفا. الجليل، فلسطين :دار العلم والمعرفة.
- كنفاني، غسان (٢٠٠٦). ما تبقى لكم. (الطبعة الخامسة). بيروت: مؤسسة الأبحاث العربية.
- المسعودي، كريم (٢٠٠٦). الواقع الفلسطيني في الرواية. (الطبعة الأولى). دمشق: دار النمير للطباعة والنشر والتوزيع.